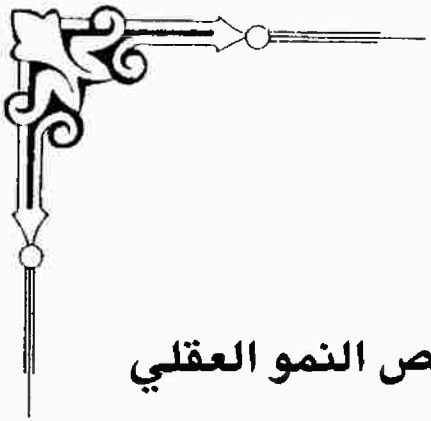

خصائص النمو العقلي

* العقل في اللغة
* الإدراك في اللغة والقرآن الكريم
* التفكير في اللغة والقرآن الكريم
* النمو العقلي عند علماء النفس
* شروط علية الإدراك
* التذكر عند علماء النفس
* مراحل التفكير في حل المشكلات

خصائص النمو العقلي في المراهقة.

النمو العقلي في المراهقة يعني التغيرات التي تطرأ على الأداء العقلي في الكم والكيف، ذلك أن القدرة العقلية تنمو بسرعة أكبر منها في مراحل العمر السابقة، حيث يكتمل النضج العقلي في نهاية هذه المرحلة.

وهذا التطور النمائي للقدرات العقلية أهم العوامل التي تساعد على تكيف المراهق مع نفسه وبيئته الإجتماعية، وذلك مشروط بحسن التربية والتوجيه المناسب لهذه المرحلة، حيث يلعب النمو العقلي دوراً عظيم الأهمية في حياة المراهق أبان المتغيرات الجسمية والنفسية والإجتماعية.

وسوف أتناول في هذا الفصل بالدراسة والبحث قدرة المراهق على التفكير والتذكر وإدراك المجازات والإستعارات، وإدراك علاقة الإتصال والإنفصال بين الأشياء المتحدة والمتشابهة والمتقابلة، في ضوء الإسلام أولاً ثم في الدراسات النفسية ثانياً.

إن القدرة العقلية في هذه المرحلة تسير في خط نائي متوازي للعمر الزمني للمراهق غالباً، ومسيرتها المنتظمة مرهونة بحسن التربية والتوجيه.

العقل في اللغة

جاء في لسان العرب من معانى العقل: (العقل): الحجر والنّهي ضد الحمق والجمع عقول... وعقل لهو عاقل، وعقول من قوم عقلاء، ورجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها... والمعقول ما تعقله بقلبك، والمعقول العقل يقال له معقول أي عَقْلٌ وهو أحد المصادر الذي جاءت مفعول...

والعقل التثبت في الأمور، والعقل القلب، والقلب العقل وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان... الخ) (١).

وجاء في القاموس المحيط من معانى العقل (العقل: العلم، أو بصفات الأشياء، من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق الأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعه في الذهن، يكون بمقدمات تستنبت بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه.

---

(١) لسان العرب: مادة (عقل) (جـ ١٣ صـ ٤٨٥).

والحق أنه نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية.

وابتداء وجوده عند احتنان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكتمل عند البلوغ... الخ)[1].

وجاء في محيط المحيط (العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، وقيل العقل نور في القلب نعرف به الحق والباطل ... وقيل العقل قوة للنفس فصريح بأن القوة العاملة أمر مغاير للنفس الناطقة وأن الفاعل في التحقيق هو النفس، والعقل آلة لها بمنزلة السكين إلى القاطع، وقيل العقل والنفس والذهن واحدة، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة وسميت نفساً لكونها متصرفة... الخ)[2].

يتضح مما سبق أن للعقل معاني عدة، تدور أغلبها حول القدرة على التمييز بين الخير والشر والضار والنافع، وأنه نعمة من الله تعالى خص بهاالإنسان دون سائر الكائنات، ليعين الإنسان على إدراك ذاته وإدراك ما حوله، وهو أداة الإنسان للعقل عن الله تعالى دينه الذي أراده لنفسه، وشرعه الذي رضيه لعباده، لتستقيم به حياتهم، فلا تتقابل مصالحهم على سبيل التضاد والعناد، فتضطرب مسيرة الحياة، وهو آلة الإنسان لتحقيق الإستخلاف في الأرض، وكشف بعض أسرارها والإستفاده بما أودعه الله فيها من خيرات.

---

(١) القاموس المحيط باب اللام فصل العين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

(٢) محيط المحيط: مادة (عقل) صـ ٦٢١.

العقل في القرآن الكريم

أن لفظ (العقل) بصيغة المصدر لم يرد في القرآن الكريم، وإنما جاءت مادته في صيغ أخرى وكلها تفيد القدرة على التفكير والإستدلال وإدراك الجزئيات والكليات، وهو أبرز ما يتميز به الإنسان عن سائر الكائنات الحية، ولقد تكرر ورود هذه الصيغ في القرآن الكريم في نحو تسعة وأربعين مرة[1].

فجاءت صيغة (عقلوه) مرة واحدة

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ترشد الآية المؤمنين إلى عدم الطمع في إيمان الكافرين من بني إسرائيل، وقطع الأمل في استجابتهم للحق بعد سماعه ومعاينته، ذلك أنه قد سبق لهم عقل ما أنزل الله عليهم من الكتاب، فضبطوه وفهموه دون أن تلتبس عليهم بعض آياته أو تشتبه، فإذا هم بعد عقل الكتاب وفهمه يجحدون بآيات ربهم بعد علم ويقين بصحة ما أنزل إليهم هداية وتربية، فمثل هؤلاء لا مطمع في إيمانهم.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ مادة عقل.

(٢) سورة البقرة آية: (٧٥).

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(١).

وجاءت صيغة (تعقلون) في نحو أربع وعشرين مرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

تقرر الآية حقيقة إرسال الرسل، رسولا إثر رسول مبشرين ومنذرين يبلغون عن الله دينه وشرعه فآمن برسالاتهم بعض من آمن بالله من قومهم وكفر البعض الآخر حسب سنة الله تعالى في الهداية والضلال.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٣).

حتى إذا استيأس الرسل وتصاعد كيد ومكر المكذبين، حق نصر الله تعالى لرسله ومن آمن معهم، وحاق مقت وغضب الله بالكافرين، فيأخذهم بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فإذا حضارتهم وحصونهم محطمة، وإذا آثارهم البالية باقية أمداً بعيداً من الدهر، لتكون عبرة للأجيال القادمة.

وقد كان أهل مكة في رحلاتهم التجارية يمرون بقرى قوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقد تناقل خبرهم جيلاً بعد جيل، وقبيلاً أثر قبيل.

---

(١) سورة الجاثية آية: (٢٣).
(٢) سورة يوسف آية: (١٠٩).
(٣) سورة يونس آية: (١٠٨).

إن القرآن الكريم في هذه الآية السابقة يدعو المشركين إلى أحد أسباب الهداية ويحثهم على إعمال عقولهم واستخدامها ونقض البلادة عنها، لتتدبر سنة الله في الذين خلوا من قبل، وها أنتم تمرون على قراهم ومدنهم في أسفاركم، إنهم لم يستخدموا عقولهم ليميزوا بين الخير الذي يدعوهم إليه رسل ربهم، واستجابوا لداعي الشر في نفوسهم، وأهملوا عقولهم واتبعوا سنن من قبلهم من آبائهم، دون تفكير ولا روية فكانوا من الخاسرين.

إنهم لم يستجيبوا لدعوة رسلهم فلم يعقلوا الذكر الذي أنزله إليهم ربهم.

(إن النظر في آثار الغابرين يهز القلوب، حتى قلوب المتجبرين، ولحظات الإسترجاع الخيالي لحركاتهم وسكناتهم وخلجاتهم،وتصورهم أحياء يروحون في هذه الأمكنة ويجيئون، يخافون ويرجون، يطعمون ويتطلعون... ثم إذا هم ساكنون لا حس ولا حركة، آثارهم خاوية، طواهم الفناء .....

(أفلا تعقلون) فتدبروا سنن الله في الغابرين؟

(أفلا تعقلون) فتؤثروا المتاع الباقي على المتاع القصير؟)[1].

وجاءت صيغة نعقل مرة واحدة. في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ* ﴾[2].

هذا اعتراف واقع من الكافرين لا محالة في يوم لايستفيدون منه شيئاً، بل يزيدهم حسرة وألماً، فهم قد عطلوا حاسة السمع وهو

---

(١) في ظلال القرآن ـ الشهيد سيد قطب (جـ ٤ صـ ٢٠٣٤) دار العلم للطباعة والنشر جدة.

(٢) سورة الملك آية: (١٠، ١١).

إحدى وسائل العقل لإدراك القضايا والحقائق، والجمع بين السمع والعقل في الآية الكريمة يوحي بنوع العلاقة التي بينهما وهي علاقة مبادلة ـ أخذ وعطاء ـ فمن يستمع يعقل، ما لم يسبق السمع بالإصرار على العصيان، ومن يعقل آيات الله يثمر الإستماع فيه يقيناً ويزيده تعقلاً، لهذا كان أهل مكة يحرض بعضهم بعضاً على ترك الإستماع لآي الذكر الحكيم، فلا يجدون حيلة تدفع شوقهم إليه.

وجاءت صيغة **(يعقلها)** مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾[1].

ضرب الله الأمثال لكل أمة بمن سبقها من الأمم الغابرة لعلها تعتبر وتتعظ، فتعمل عقولها فيما أنزله الله تعالى إليها هداية وتربية، فتعقل عن الله دينه وشرعه، فتعبده وتدين بما شاء أن يتعبد به، وقد بينت الآية أن ليس كل أفراد الأمة يستفيدون بضرب الأمثال، إذ لا يستفيد بها إلاّ من أعمل عقله ونفذ ببصره إلى المثل المضروب فعقل عن الله ما أراده من ضرب المثل، فالتزم طاعة ربه في كل ما أمر وآجتنب كل ما نهى الله عنه، وهذا ما لا يستطيعه السفهاء والحمقى لفرط غباوتهم وجهالتهم، حيث يشركون مع الله سبحانه ما لا يملك نفعاً ولا ضراً.

«هذا المثل ونظائره من الأمثال المذكورة في الكتاب العزيز **(نضربها للناس)** تقريباً لما بعد من أفهامهم **(وما يعقلها)** على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد **(إلا العالمون)** الراسخون في العلم

---

(١) سورة العنكبوت آية: (٤٣).

المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي»[1].

وجاءت صيغة (**يعقلون**) في نحو اثنتين وعشرين مرة. منها قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أو لو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾[2].

في الآيات إعلام بقبح وشناعة التقليد الأعمى والعكوف على ما كان عليه الآباء الأقدمون، كما تقرر أن السلف والخلف قد عطلوا وسائل الفهم والوعي، فأفقدوها خصائصها حتى غدت عديمة الفائدة، فهم عمي وصم وبكم فمن كان هذا شأنه آستحال عليه أن يهتدي وأن يعقل عن الله شرعه.

---

(١) روح المعاني ـ العلامة أبي الفضل شهاب الدين الألوسي (جـ ٢٠ صـ ١٦٢) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) سورة البقرة آية: (١٧٠، ١٧١).

تعريف العقل عند علماء الإسلام

١ ـ عرفه الحارث بن أسد المحاسبي: بقوله (العقل غريزة، جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده، أقام به على البالغين الحلم الحجة، وأنه تعالى خاطبهم من جهة عقولهم ووعد وتوعد، وأمر ونهى)[1].

٢ ـ وقد ذكر المحاسبي تعريفات عدة في مؤلفه، منها: «وقال قوم، هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة، يبصر به، ويعبر به، نور في القلب، كالنور في العين.
فالعقل غريزة يولد العبد بها، ثم يزيد فيه معنى بالأسباب الدالة على المعقول.

٣ ـ نقل الإمام القرطبي في تفسيره تعريفات عدة، استحسن بعضها وأقام الدليل على بطلان ما ذهب إليه الفلاسفة إذ قالوا بقدم العقل وأنه جوهر لطيف أو جوهر بسيط غير مركب، وقد أظهر القرطبي فساد مذاهبهم جميعاً، ومن التعاريف التي ننقلها من تفسيره ما يلي:

---

(١) المسائل في أعمال القلوب والجوارح (صـ ٢٣٨) ـ الحارث بن أسد المحاسبي.

«إن العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني»، وقد استبعد هذا التعريف أيضاً.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني وغيرهما من المحققين:
«العقل هو العلم، بدليل أنه لا يقال أعقلت وما علمت، أو علم وما عقلت»[1].

وأرى أن هذا التعريف غير جامع لأنه يعرف العقل بخاصية من خواصه، ولكي يصح التعريف، فإنه يلزم نفي وجود العقل عند غير العالم، وهو أمر لا يصدقه الواقع، والقرآن الكريم يقرر وجود القوة العاقلة في جميع البشر، وغاية الأمر أنهم يتمايزون في مستوياتهم وأساليب استخدامها، فمنهم من يحسن استخدامها فيعقل عن الله دينه وشرعه بواسطة هذه القوة المدركة التي تمكن الفرد من التمييز بين الضار والنافع، والشقي منهم من لا يستعمل هذه القوة المدركة فينقاد لهواه وشيطانه، فيبتعد بهذه القوة عن الغاية الأساسية من خلقها، ولقد توعدهم الله سبحانه بالخلود في جهنم قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

قال الإمام الألوسي في تفسير هذه الآية: (وفي إعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بدون ذلك، بأن يقال: وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها ما لا يخفى من تقرير سوء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (جـ ١ صـ ٣٧٠).
(٢) سورة الأعراف آية: (١٧٩).

حالهم، وكذا في إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصف كل بما وصف به دون سلبها عنهم ابتداء، بأن يقال: ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها ما لا يخفى على ما قيل من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية... الخ)[1].

وقال الإمام ابن تيمية في معنى العقل: (إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لعلكم تعقلون﴾ ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم النافع يعمل به والعمل بالعلم...

ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم.

والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما)[2].

تعريف الإمام أبو حامد الغزالي بقوله: (إن العقل اسم يطلق بالإشتراك على أربعة معانٍ كما يطلق اسم العين مثلاً على عدة معانٍ، وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه.

---

(١) روح المعاني (جـ ٩ صـ ١١٩).

(٢) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (جـ ٩ صـ ٢٨٦) مؤسسة الرسالة - بيروت.

فالأول: الوصف الذي به يفارق الإنسان سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو ما أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل (أنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء)..

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات... وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل (إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات).

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب، يقال أنه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة يقال أنه غبي جاهل.

الرابع: (أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً)[1].

ويمكن أن تعرف العقل بأنه: قوة غيبية تمكن الإنسان من معرفة ربه وتقود اتجاهه إليه وهي أداته لإدراك العلوم والمعارف النظرية والتجريبية وضبطها ووسيلته للتمييز بين الخير والشر. الحسن والقبيح.

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ١ صـ ٧٥) للإمام أبي حامد الغزالي باب حقيقة العقل وأقسامه ـ عالم الكتب.